

قضية الالتزام بين الخطابين النقدي والشعري في الأدب العربي المعاصر

فرامرز ميرزائي (الكاتب المسؤول)*

عبدالحسين فقهى**

الملخص

قضية الالتزام من أهم ما اهتم بها النقاد والشعراء في الأدب العربي المعاصر. ومن عجب ما يتفطن إليه الباحث الأدبي الاختلاف بين مفهومي الالتزام عند الناقد وعند الشاعر، فالناقد العربي حدد الالتزام في دائرة القضايا الاجتماعية خلافاً للشاعر العربي المعاصر الذي حدده في دائرة حرية التعبير. هذا النموذج يبين أن النقد العربي، في عصرنا الحاضر يريد أن يوجّه الأدب حسب ميوله النقدية دون الاهتمام بهواجس الشاعر العربي المعاصر. فلماذا حدثت هذه الفجوة بين خطابي النقد والأدب؟ الإجابة عن هذا السؤال هو ما يهدف إليه هذا المقال وذلك في منهج تحليلي وصفى متعمد على تحليل الآراء النقدية الواردة في هذا المجال ليصل إلى نتيجة أن الناقد الأدبي الحديث بدل أن يتصل بأدب قومه ويستنتج قضاياها النقدية منه مباشرة، ويتخذ موقعا ليستلهم منه فكرته النقدية، اتجه نحو الآراء النقدية الواردة من الغرب كالاشتراكية والوجودية وجعلها قاعدة ليستخرج منها أصوله النقدية ويفرضها على أدب قومه. هذه المفارقة بين خطابي النقد والشعر العربيين لمفهوم الالتزام الأدبي لداعية إلى التأمل في النقد الأدبي المعاصر، فليس من الصحيح أن يُملَى على الأدب العربي ما هو خارج عن طبيعته العربية.

المفردات الدليلية: الالتزام الادبي، الخطاب النقدي، الخطاب الشعري، الشعر العربي المعاصر.

*. أستاذ في اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس، طهران، إيران

Mirzaeifaramarz@yahoo.com

** . أستاذ مشارك في اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، طهران، إيران Afegghi@ut.ac.ir

تاريخ القبول: ١٣٩٧/١١/٢٥ش

تاريخ الاستلام: ١٣٩٧/٩/١٥ش

المقدمة

إن الوجود الشعري قبل الوجود النقدي وبتعبير أدق إن النقد كلام على كلام، وصرح أبوحيان التوحيدى «أن الكلام على الكلام صعب.» (التوحيدى، ٢٠١١م: ٢٤٩) لأنه كلام نقدي ذو معايير عقلية على كلام أدبي ذو معايير شعورية. وفي النقد الأدبي العربي القديم كان النقاد أقبلوا على الشعر العربي واتخذوه مصدرا لأحكام نقدية أو لاستخلاص المعايير النقدية منه وأما في العصر الحديث فهل استمد النقاد آراءهم النقدية من الشعر العربي الحديث؟ وهل معاييرهم النقدية الحديثة مستنبطة من الشعر العربي ومن بنية شعرية عربية؟ يبدو أن منهج النقاد قد تغير فراحوا يهتمون بالمدارس النقدية الوافدة آخذين منها آراءهم النقدية ليفرضوها على الشعر العربي المعاصر. هذا ما أدى إلى فجوة بين الشعر العربي المعاصر ذو خصائص عربية في لغته وثقافته والنقد العربي المعاصر المتأثر جدا بالمكاتب النقدية الحديثة الغربية.

إن القضايا المعاصرة في الشعر العربي المعاصر كالوحدة الشعرية والحداثة والالتزام وما شابهها، طرحت في الشعر كما طرحت في النقد الأدبي. رغم أن الشاعر والناقد كلاهما متأثران بالتيار الغربي الحديث إلا أنهما مختلفان في فهم هذه القضايا. فلا بد للناقد أن يستلهم أحكامه النقدية من الشعر وما يجرى عليه من مفاهيم حديثة وأن يصدر أحكامه على المعايير التي يستنتجها من الشعر العربي ولكننا نجد أن الناقد في أحيان كثيرة يسمتد أحكامه من المكاتب النقدية الوافدة دون الاهتمام بالشاعر العربي وميوله الشعرية. لاشك أن النقد العربي ليس بمعزل عن التيار التحديث الذي غزا العالم العربي منذ القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا ولا يمكن للنقاد أن يتجاوزوا المنجزات النقدية الحديثة ولكننا مدركون أن الناقد الغربي استمد أحكامه من الأدب الغربي من شعره ونثره. وهذا يختلف تماما عن الشعر العربي ذو رسوب ثقافية عربية وإذن لا بد للتيار النقدي العربي أن يختلف عن التيار النقدي الغربي في اتجاهه ومجراه لإصدار أحكامه على الشعر العربي المعاصر.

وقضية الالتزام من هذه القضايا النقدية الهامة حيث استخدم كمصطلح نقدي وأدبي وسياسي وفكري على نطاق واسع في الخطاب الأدبي بعد منتصف القرن العشرين

من قبل ثلاثة تيارات نقدية وأدبية وهي الواقعية الاشتراكية والوجودية السارترية والإسلامية السياسية وذلك لما يتصف به هذه التيارات الثلاثة من موقف أيديولوجي تجاه الأدب والنقد. فاهتم به النقاد المعاصرون ثم تطرق سبيله إلى الأوساط الشعرية منذ خمسينيات القرن العشرين فعنى به الشعراء مثل النقاد. فالباحث المتفطن يجد أن ما استنتجه الناقدون من مفهوم الالتزام يختلف عما شعر به الشعراء المعاصرون من هذا المصطلح الشعري والنقدي معا، أى إن النقد العربي المعاصر لم يساير الشعر العربي في إصدار أحكامه النقدية بل إنه اتبع الفكرة النقدية الوافدة إليه وحاول أن يطبقه على العشر العربي المعاصر.

خلفية البحث

إن هناك بحوث كثيرة نشرت حول قضية الالتزام فى المجالات المحكمة ومنها ما نشره حبيب كشاورز، المعنون بـ«الالتزام وأثره فى العاطفة الشعرية فى عصر النهضة» (حافظ إبراهيم وأحمد شوقى نموذجاً) المنشورة فى مجلة "اللغة العربية وآدابها" مجلد ١٤ عدد ٣. تضمنت هذه المقالة مظاهر الالتزام فى شعر الشعراء المعاصرين وعالجت تأثيره الروحى والحسى فى أجواء خلق الشعر وتجربة الشعراء الشعرية ولا تقوم المقالة هذه على مباحث نقدية بحتة ولا يذهب المؤلف فيها من منطلق القضايا الاجتماعية والفلسفية لبيان ما يرام دراسته من زوايا معنى الالتزام وأشكاله على الصعيد الشعري. وهناك مقالة أخرى لـرجس أنصارى: «شعر فاروق جويده فى دراسة أسلوبية» (دراسة فى شعره الملتزم) تم نشرها فى مجلة "اللغة العربية وآدابها" مجلد ١٢ عدد ١. عنيت الباحثة بالبحوث الشكلانية لتتطلع على الشعر من رؤيه أسلوبية وتحاول فيها الدراسة على مضامين الالتزام دون الاتجاهات الأخرى التى اهتمت بالعلاقة القائمة بين مفهوم الالتزام ومفاهيم ترتبط بها من منظر علم الاجتماع والسياسة. ومن هذه البحوث ما كتبه فرهاد رجبى: «تحليل شعر "البحار" و"الدرويش" لتحليل الحاوى على أساس فلسفة سارتر» المنشورة فى مجلة "نقد أدب عربى معاصر" دوره ٤ العدد ٧. واهتمت المقالة بمعالجة المعانى المتواجدة فى هذه القصيدة على أساس الفلسفة الوجودية السارترية

والباحث طبقها على مضامين القصيدة دون الركون إلى المباحث النقدية. ومقالة نشرها قائمي وزملاؤه باللغة الفارسية في مجلة "أدب عربي" العدد الثاني عام ١٣٩٣ش بعنوان مضامين الالتزام الأدبي في أشعار فاروق جويدة (مضامين تعهد ادبي در اشعار فاروق جويدة)، فأشار الباحثون إلى أهم مضامينه الشعرية كالحرية السياسية ورفض الفقر والدعوة إلى التمرد وكان الشاعر ملتزماً سياسياً، فتجلى المضامين السياسية في شعره أكثر من غيرها من المضامين. وأخيراً مقال لحسن كودرزي لمراسكي: «الوجودية في شعر صلاح عبدالصبور»، مجلة "اللغة العربية وآدابها" مجلد ٨ العدد ١٥ حيث تشير المقالة إلى مظاهر "الوجودية" في شعر الشاعر صلاح عبدالصبور والتفصيل بها من زوايا الرؤية الوجودية لتحليل عناصرها الشعرية التي تشكلها ككلّ منسجم يلقي بمهامّ القضايا الفكرية والمعرفية ومنها "الالتزام" الذي يهتمّ به الشاعر في وعيه ولاوعيه دون أن يلقي نظرة على دراسات فلسفية وأخرى اجتماعية وسياسية في هذا المضمار ليبيّن مدى فاعلية الرؤية الوجودية لحرية التعبير عند صلاح عبدالصبور.

فما مرّ يتبين أن الباحثين لم يهتموا بالمفارقة بين مفهومي الالتزام في النقد الحديث والشعر العربي المعاصر لبيّنوا مدى الانفصال الذي حصل بين النقد والشعر في عهدنا الحاضر وهذا ما اهتم به هذا المقال دون غيره من البحوث المنشورة لاهميته وللتأكد على ضرورة تأسيس النقد العربي على أسس مقتبسة من الشعر العربي ولا على الأفكار الوافدة عليه من العالم الآخر.

مفهوم الالتزام الأدبي

الالتزام لغويًا، من لزم الشيء والتزمه، أي لا يفارقه، والالتزام: الاعتناق (ابن منظور، ٥٤١/١٢؛ الفيروزآبادي، ١١٥٨) ولها دلالات مختلفة المعاني تشترك في أخذ الفرد على عاتقه أو تعهده لنفسه باتيان عمل بطريقة معينة في الأداء. (هاشم، ١٩٩٣م: ٢٠) واتخذت اللفظة، اليوم، معنى اصطلاحياً نتيجة لتطور الفكر الحديث فكثرت استخدامه في الفكر والأدب والفن دالة في مضمونها على مشاركة واعية في قضايا الجماهير والعمل على حل مشكلاتهم (طبانة، ١٩٧٩م: ١٥) أو وجوب إحساس الأدباء والفنانين

بالمسؤولية أمام مجتمعهم ووطنهم، رافضة جعل الأدب والفن تسلية يُرسل بحرية (التونجي، ١٩٩٩: ١٢٣) والالتزام الأدبي هو حزم الأمر على الوقوف بجانب قضية سياسية أو اجتماعية أو فنية، والانتقال من التأييد الداخلي إلى التعبير الخارج عن هذا الموقف بكل ما ينتجه الأديب من آثار تكون حاصلة لمعاناة صاحبها ولا حساسه العميق بواجب الكفاح ولمشاركته الفعلية في تحقيق الغاية من الالتزام (عبدالنور، ١٩٨٤م: ٣١) أو اعتبار الأديب فنه وسيلة لخدمة فكرة معينة عن الإنسان وعن وجهة نظر محددة في الحياة وتحمل مسؤوليتها (مندور، لاتا: ١٢٤) أو وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن في القضايا الوطنية والإنسانية وفيما يعانون من آلام وما يبتسون من آمال (غنيمي هلال، ١٩٩٧م: ٤٥٦) عن موقف صلب محدد مرتبط بالعقيدة. ففكرة الالتزام بهذا المفهوم جديدة في الأدب العربي الحديث بل في الآداب العالمية (أبو حاققة، ١٩٧٩م: ١٦) ومحددة للأدب غايةً قد تكون إيجابية، فردية تهدف إلى متعة فنية مضافا إليها خدمة اجتماعية، أو اجتماعية ترى أن الشعر يساوي خدمة اجتماعية مضافا إليها متعة فنية. (المنصوري، ٢٠٠٠م: ١٠٧) فانتشر، أخيرا، مصطلح الالتزام والصيغ المشتقة منه على نطاق واسع في الخطاب الأدبي دالاً على ممارسة أدبية وثيقة الارتباط بالسياسة وبالمناقشات التي تثيرها (دوني، ٢٠٠٥م: ٩) فمصطلح الالتزام شمل مضمون الشعر دون شكله الفني ولأجل ذا ارتبط بالقضايا الاجتماعية والسياسية أشد الارتباط.

الالتزام الأدبي تاريخيا

منذ أفكار أفلاطون في الجمهورية، لم يكن الأدب قط موضوعا محايدا ولا مباليا. (المصدر نفسه: ١١) فقديما كان أفلاطون يدعو إلى غاية تربوية خلقية للشاعر (غنيمي هلال، ١٩٩٧م: ٤٥٣) وكذلك أرسطو وإن كان حصرها في الشعر الملحمي والمسرحي. (المنصوري، ٢٠٠٠م: ١١٠) أما ظهور مصطلح الالتزام المنبثق من موقف أيديولوجي متمسك بالوعي فيرجع إلى أواخر القرن التاسع عشر حيث مهدت المذاهب الأدبية المتصارعة، الأرضية المناسبة له (أبو حاققة، ١٩٧٩م: ٢٤) لأن الشعر في العصر الحديث خرج عن دائرته الفردية وصار آلية فكرية فاعلة في ساحة الحرب العقائدية.

الالتزام فى الواقعية الاشتراكية

فللواقعية الاشتراكية والوجودية السارترية النصيب الأوفى فى الدعوة إلى الالتزام وتعميمه وتطبيق مبادئه فى الأعمال الأدبية. (طبانة، ١٩٨٤م: ١٦، ١٧) ويدل مصطلح الالتزام، فى الواقعية الاشتراكية، على إلزام الأديب على أخذ مقومات وجوده الفنى من الحياة المعيشية ومعالجتها فى اتجاه إيجابى، فالفنان ملتزم حتما، لأنه جزء من عملية البناء الشيوعى (عيد، ١٩٨٨م: ١٣٠ - ١٤٠) وللأدب، حسب المعتقد الماركسى، قوة اجتماعية قادرة على إحداث تغييرات هائلة فى حياة الجماهير. (أبو حاق، ١٩٧٩م: ٣٠) وهكذا أصبحت الدعوة إلى الالتزام من تعاليم الواقعية الاشتراكية الأساسية، حيث عبّر عنها قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعى (طبانة، ١٩٨٤م: ١٦) وكان مكسيم جوركى أول من استخدم هذا المصطلح (أبو حاق، ١٩٧٩م: ٣٣) مهاجما على الواقعية القديمة لإيمانه بغلبة الخير على الشر فى روح الإنسان وتمجيده دور الشعب فى خلق حياة إنسانية فضلى. (العشماوى، ١٩٩٤م: ١٨١) أخذ على مفهوم الالتزام فى الواقعية الاشتراكية، مقياسه الاجتماعى الضيق الذى ارتضته، حيث صادرت الأعمال الأدبية التى تخلو من المضمون الدعائى لقضيتها، لا لسبب إلا لخلوها من هذه الوجهة الدعائية. (عيد، ١٩٨٨م: ١٧٢ - ١٧٣)

الالتزام فى الوجودية السارترية

أما وجودية سارتر فلها أثر بعيد فى تكوين مفهوم الالتزام (أبو حاق، ١٩٧٩م: ١٦) فسُمى الأدب الوجودى بالأدب الملتزم لالتزامه موقفا محددًا من كل حدث فردى أو اجتماعى أو وطنى وشأنها فى الالتزام شأن الاشتراكية فى اعتبار الأديب مسؤولًا عن كل ما يكتب، إلا أنها حصرت فى النشر دون الفنون الأخرى «لأن ميدان المعانى إنما هو النشر.» (سارتر، لاتا: ١٢) وبما أن الإنسان، فى الفلسفة الوجودية، مصدر الوجود وإنه حر ومسؤول ومن طبيعة العمل المسؤول أن يكون هادفا إلى غاية محددة، فبنى الالتزام الأدبى فيها على أسئلة لم يسأل إنسان نفسه عنها وهى: «ما الكتابة؟ لماذا نكتب؟ و لمن؟» (المصدر نفسه: ٨) قد انفرد سارتر من بين نقاد الغرب بالتعمق فى فلسفة الالتزام

القائم على إقرار حرية الكاتب ومسؤوليته معا (غنيمهلال، لاتا: ١٤٧) حيث لا يتحقق تعديل الحاضر لبناء المستقبل إلا بالحرية. (وهبة، ١٩٨٤م: ٥٨) رغم تأثر وجودية سارتر بالواقعية الاشتراكية، في الالتزام الأدبي، فإنه يراه فرديا خلافا للاشتراكية التي تعتبره جمعيا حتميا (عيد، ١٩٨٨م: ١٥٦) لذلك حذر من طغيان الإرادة الحزبية والإرادة الجماعية على الإرادة الفردية وعلى حرية الأديب مسخرا إياه لغاية غير إنسانية. (أبو حاق، ١٩٧٩م: ٤٩)

الالتزام في الإسلامية السياسية

للتقافة الإسلامية في الوسط الاجتماعي العربي تأثير هام جدا خاصة بعد ظهور السيد جمال الدين الأسدآبادي في مصر واتصاله بالأدباء حيث أصبح الروح الكامن وراء حيوية الأدب العربي الحديث ودفعه نحو الاهتمام بالمسائل اليومية (الدسوقي، ١٩٧٣م: ٣٢٧) فاستطاع بفضل نشاطاته الفكرية والسياسية والدينية أن يكون جماعة فذة من الأدباء والمتقنين الذين مهدوا السبيل للنهضة الأدبية المعاصرة، فجعل الوعي الديني والصحة الإسلامية منطلق النضال القومي (ميرزائي وطاهري نيا، ١٤٢٥ق: ٧٢) فكانت الإرهاصات الأولى لفكرة الالتزام ظهرت عند جمالالدين الأسدآبادي الذي كان ينصح معاصريه من الأدباء أن يجعل أديبهم في خدمة مصر، ثم قوى هذا التيار بفضل نشاطات تلميذه محمد عبده والذي كان على رأس هذا الاتجاه وغايته جعل المسلمين أقوياء قادرين على حماية أنفسهم من الخطر الاجنبي. (أبو حاق، ١٩٧٩م: ١٠٩) فالأديب ملتزم بالرؤية الإسلامية تجاه الكون والحياة والإنسان، فيما سمي بعد بالأدب الإسلامي أو الواقعية الإسلامية. والالتزام الأديب الإسلام «نابع من أعماق نفسه ويعد مقوما من مقومات وجوده، ثابت عليه لا يتزعزع عنه مهما كثرت المحاولات لصرفه عنه لأن ما أُلزم به نفسه جزء لا يتجزأ من عقيدته ... يرخص كل غال نفيس في سبيله للحفاظ عليها، ثم الأديب المسلم ملتزم بالله المتصف بصفات الكمال وملتزم بشريعة مقررّة ثابتة ومثل محددة واضحة لم يبتدعها من عند نفسه ابتداء». (حماد، ١٤٢٢ق: ٢٦)

هكذا إن الالتزام من منظور الرؤية الإسلامية يختلف اختلافا جذريا عن مفهوم الالتزام فى النقد الاشتراكى المعتمد على الإرادة الجماعية دون الإرادة الفردية والرؤية الوجودية المعتمدة على الإرادة الفردية للأديب لحرته فى التعبير الأدبى رفضا الإرادة الجماعية.

الالتزام الأدبى فى النقد الأدبى

لم يكن النقد الأدبى القديم يعنى بالالتزام لأن النظرة العامة فيه هى البحث عن المتعة الخالصة (عيد، ١٩٨٨م: ٢١٣) وكان مفهوم الأدب عند نقاد العرب القدامى، صناعة تعتمد على الجمال الأدبى، فالشعر عند ابن سلام «صناعة» (١٩١٣: ٣) وعند الجاحظ محصور فى «صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير». (١٩٣٨: ١٣٢) ومثله عبد القاهر يرى أن «سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة». (٢٠٠٧: ٢٦١) وابن حازم القرطاجنى ترى الحاجة الأكيدة فى هذه الصناعة «إلى اختيار اللفظ واحكام التأليف». (١٩٨٦: ١٢٩) إذن، فالاتجاه العام عندهم هو اعتبار الجمال فى الشكل دون المحتوى، لأن المعانى مطروحة فى الطريق لكل إنسان (الجاحظ، ١٩٣٨م: ٣٢) وليس لمجرد المعنى الفضل والمزية فى الكلام. (الرجباني، ٢٠٠٧م: ٢٦٢) وتُستنتج من كثرة النقد القائم على الأساس الجمالى الصرف عند نقاد العرب القدامى، أن نظرية الفن للفن أساسية وطبيعية فى الفن القولى (إسماعيل، ١٩٩٢م: ٣٣، ٣٤٩) وأن استهداف غاية الخير فى الشعر كان يحط من قدر الشعر والشعراء لأنهم لم يجعلوا مهمة الشعر الوصول إلى غايات الخير وإنما مهمته أن يحسن الكلام فحسب. (المصدر نفسه: ٣٣٨)

وأما فى النقد الأدبى الحديث فنشأت فكرة الالتزام الأدبى، كمذهب فلسفى، نتيجة للاحتكاك الثقافى بالغرب ثم أصبحت فى طليعة القضايا التى شغلته. (طبانة، ١٩٨٤م: ٧٩) مسار تطور هذا المصطلح يدل على استقبال العرب، أولا، للأفكار الاشتراكية التى دعا إليه سلامة موسى كأول كاتب أثار مسألة الاتصال الجماهيرى (الجويسى، ٢٠٠٧م: ٦١٨) ثم تبلور فى شخصيات منها محمود أمين العالم، وعبد العظيم أنيس وعبد الرحمن الخميسى وعبد الرحمن الشرقاوى ولويس عوض (عيد، ١٩٨٨م: ٢١٣ - ٢٣٢)

واللبنانيان رثيف خورى في كتابه الأدب المسؤول، وحسين مروة في كتابه دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي. (يقطين ودراج، ٢٠٠٣م: ١٢٥-١٢٦) وإلى جانبهما مارون عبود، فكان دورهم أساسى في نشر أفكار الأدب الملتزم في الخمسينيات. (الجويسى، ٢٠٠٧م: ٦١٩) إن هذا المسار النقدي الاشتراكي أو الماركسى، رغم المساحة الكتابية الواسعة، أدخل إلى النقد الأدبي استسهالا مفرطا لشعار الالتزام متصفا بوهن فكري شديد (يقطين ودراج، ٢٠٠٣م: ١٢١، ١٢٢) وثانيا لوجودية سارتر التي وجدت أكبر دعم من صفحات مجلة الآداب البيروتية التي تأسست في خمسينيات القرن العشرين حيث كانت المناقشات حول الأدب الملتزم في أوجها. (الجويسى، ٢٠٠٧م: ٦١٧-٦١٨) فالمفهوم الميتافيزيقى لرفض الواقع والتمرد عليه، دون الثورة، هو بداية الالتزام الوجودى أو ما سماه نقاد العرب، الإنسانى النابع من الإحساس الذاتى بالمشاركة الجماعية.

بين هذا وذاك، ظهر مسار معتدل كان يؤمن بالالتزام دون دوافع خارجية عن ذات النقد. فسيد قطب لا يرى غاية العمل الأدبي في قضايا فلسفية أو صراعا طبقيًا أو دفاعا عن الفضيلة إلا أن يصبح ذلك جزءا من تجربة الأديب الشعورية لأن في ذات العمل الأدبي غاية إنسانية (٢٠٠٣: ١٢) وإحسان عباس يعتقد أن انعدام البعد الفاصل بين الفنان والشعب يؤدي بالفنان إلى تفهم لأوضاع ذلك الشعب وتطلعاته وأن للنقد قوة موجّهة ذات فعل وظيفى تجعل الأدب قادرا على أن يخدم قضايا مختلفة في المجتمع ولكنه ينهى عن الإسراف في إظهار الغاية لأنه يتحول بالفن إلى دعاية. (٢٠٠٠م: ٦٠٣ و٣٢٩-٣٥٩) وجعل محمد مندور توجيه الأدب نحو تأدية وظيفته الاجتماعية، من وظائف النقد الأدبي (مندور، ١٩٨٨م: ٢٢١) فحاول إقامة التزام يجمع بين الواقعية الاشتراكية والوجودية فيما يسميه بالمنهج الأيديولوجى النابع من اهتمامه بالمضمون وأولويته، وكل ما يرجوه هو استجابة الفنان لحاجات عصره وقيم مجتمعه بطريقة تلقائية. (مندور، ١٩٩٧م: ١٨٧-١٩٠)

ثم هناك مسار رافض للالتزام في النقد الأدبي الحديث حيث يراه قيّدا للفنان وكتبنا لحرّيته، متمثلا في توفيق الحكيم الذى يعتقد أن الالتزام بالأغراض القومية والإصلاحية

قد يكون من منفرات الأثر الأدبي (لاتا: ٣٠١-٣٠٢)، وجبرا إبراهيم جبرا الذي يرى أن فكرة الالتزام المأخوذة عن سارتر والذي أخذها بدوره عن الماركسية، سببت في تدنى النتاج الفنى بسبب تقريريتها ولأنه يتوخى السياسة أكثر مما يتوخى الإنسان (عزام، ١٩٩٩م: ٩٣ و٩٤) وطه حسين الذى رفض الالتزام ودعا إلى حرية الفنان المطلقة فى أدائه وفى تجربته لأنه حر بطبعه ومثله روز الغربى وزكى نجيب وأنور المعداوى وحجتهم هو الخوف من الدعاية المفرطة والوقوع فى قبضة الدولة. (أبو حاقه، ١٩٧٩م: ٢٧٠ و٢٧٣ و٢٧٥) يمكن الاستنتاج أن النقاد الذين دعوا إلى الالتزام الأدبى مالوا، بشكل ما، إلى الواقعية الاشتراكية نظرا للظروف الاجتماعية الداعية إلى ذلك وأن الذين رفضوه فقد أخافتهم المخاطر التى تعرض لها الأدب حين طبقت نظرية الالتزام فى البلاد الشيوعية تطبيقا صارما حيث أصبح الأدب أداة فى يد حكاهما.

الالتزام فى الشعر العربى

كان الالتزام كموضوع أدبى، أى: الانحياز إلى جانب موضوع معين، موجودا فى الأدب العربى منذ عصوره الأولى، لأن الأدب فى معناه، يحتضن هوم المجتمع والإنسانية، فمن الصعب تصور أديب غير ملتزم و«إن لم يكن هذا الالتزام نابعا من فكرة إلا ما شذ وندر كأدب الشيعة والخوارج.» (المصدر نفسه: ٢٩٤) فأبرز مظاهره فى الأدب القديم، تجلّى فى الشعر السياسى متمثلا فى الجاهلية بالولاء للنظام القبلى الذى يعد صورة مصغرة للدولة (الشايب، ١٩٧٦م: ٥) ثم فى الفروسية والقيم الاجتماعية كالمروءة (المنصورى، ٢٠٠٠: ١١١) وفى صدر الإسلام، ظهر للدفاع عن الرسالة النبوية فى شعر حسان بن ثابت، وحين غلبت السياسة على الأدب العربى فى العصر الأموى تجسد فى تيارات أدبية موالية للأحزاب السياسية المتنازعة على الخلافة والإمامة متمثلا فى الشيعة والأمويين والخوارج والزبيريين. (أبو حاقه، ١٩٧٩م: ٧١) ومن أبرز شعرائهم الكميت بن زيد الأسدى ممثلا موقف الشيعة والتزامه كان دينيا وأخطل بنى تغلب ممثلا موقف الخلافة الأموية والتزامه كان سياسيا وعبدالله بن قيس الرقيات شاعر الزبيرية وقطرى بن الفجاءة والطرماح بن حكيم من شعراء الخوارج (الشايب، ١٩٧٦م: ٦،

١١، ١٢) وفي العصر العباسي سار الالتزام في ثلاثة اتجاهات: سياسى في صراع قومى عند أبى تمام والبحترى والمتنبى إلى جانب العرب وعند مهيار الديلمى إلى جانب الفرس؛ ودينى امتدادا لحركة بدأت مع ظهور الإسلام فتمثل في الشعر الشيعى عند دعبل الخزاعى والشريف الرضى والشعر الصوفى عند ابن فارس؛ واجتماعى في شعر المعرى في موقفه الفكرى الواعى الذى تخطى الالتزام لديه حياة المجتمع وأحواله إلى موقف إنسانى عام (ابوحاقة، ١٩٧٩م: ٨٢-١٠٣) فالشعر عند هؤلاء الشعراء رسالة فنية مؤثرة لإلقاء ما فى ضميرهم.

وأما الالتزام فى الأدب المعاصر فترجع نشأته وازدهاره إلى عوامل؛ منها: صعود الجذر الإسلامى الممتد من الماضى والتطلع إلى مجد الأمة الضائع (المنصورى، ٢٠٠٠م: ١٢٠)؛ ثم الأفكار الوافدة من الغرب، سواء أكانت وجودية وافدة من أوروبا الغربية أو ماركسية قادمة من أوروبا الشرقية، حيث طغت موجة الالتزام، على الأدب فى خمسينات القرن العشرين (الخطيب، ١٩٨١م: ٣١)؛ وعند الشعراء خاصة قد تجلّى فى ثوب ما يطلق عليه الحرية الوجودية التى تركز على وعى الإنسان وفكره (گودرزى لمراسكى وزملاؤه، ١٣٩٣ش: ١١٣) والاجتماعى الناشئ عن احتكاك الأدباء بمشكلات الحياة (اسماعيل، ١٩٨٨م: ٣٧٤) وإحساسهم بالظلم الاستعمارى الذى أدى بهم إلى مساهرتهم الثورات العديدة الاجتماعية والثقافية والسياسية والعسكرية فى البلدان العربية، فأدرك الشعراء ضرورة ارتباط الأدب بالعمل الاجتماعى والسياسى، منهم من قصد استنهاض الهمم بذكر المساوى والتنبيه إليها كالرصاصى وحافظ ابراهيم (عباس، ٢٠٠٠م: ٥٨٢) ومنهم من اتخذه مرحلة كالسياب، ومنهم من تناوله كموضوع من الموضوعات العديدة التى يتناولها كأحمد عبدالمعطى حجازى، وصلاح عبدالصبور، وكيلانى سند، ومنهم من جعله مدارا لرؤيته الشعرية كموقف خاص مثل البياتى، وكاظم جواد وسعدى يوسف ومظفر النواب وشوقى بغدادى ومحمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد ومحمد مفتاح الفيتورى (الورقى، ١٩٩٣م: ٢٢٦-٢٢٨) أما عند شعراء المقاومة فاتخذ الموقف الاجتماعى إلى جانب الحماس الانفعالى شكلا ملتزما أكثر تحديدا (الورقى، ١٩٩٣م: ٢٣٣) فقدموا مثالا طيبا على نجاح الواقعية الملتزمة (الخطيب، ١٩٨١م: ٣٣) وبث روح

المقاومة في الشعب الفلسطيني، أمام أعدائهم.

اتجاهات الالتزام الادبية

تجلى موضوع الالتزام في الأدب العربي الحديث في ثلاثة تيارات:

١. التيار الإسلامي المتجسد في حركة اليقظة العربية الإسلامية، فكانت الإرهاصات الأولى لفكرة الالتزام ظهرت عند جمالالدين الأسدآبادى الذى كان ينصح معاصريه من الأدباء أن يجعل أدبهم في خدمة مصر (الدسوقي، ١٩٧٣م: ٣٣٣-٣٣٦) كان وتلميذه محمد عبده على رأس هذا الاتجاه وغايته جعل المسلمين أقوياء قادرين على حماية أنفسهم من الخطر الأجنبي. (أبو حاققة، ١٩٧٩م: ١٠٩)

٢. التيار القومى وكان هدفه بعث الحضارة العربية وإحياء تراثها ولغتها واعتبار الحضارة الأوروبية المعاصرة كنموذج أمثل للاحتذاء بها (المصدر نفسه: ١٧٦)، فتمثل عند عبدالرحمن الكواكبي، وأمين الريحاني، والبارودي، ومعروف الرصافي. (المنصوري، ٢٠٠٠م: ١٣٢)

٣. التيار الوطنى أو القومية الإقليمية: التى كانت أساسه أن الرؤية الوطنية وجدانى يتمثل فى ما يكتنه العربى من حب لوطنه وقد مزج بالقومية (المصدر نفسه: ١٣٧-١٣٦) فتجسد فى شعر شعراء كأحمد شوقى فى بعض قصائده الوطنية، وحافظ ابراهيم من مصر وأبى الفضل الوليد من لبنان وأبى القاسم الشابى من تونس ومفدى زكريا من الجزائر، وعبدالمحسن الكاظمى من العراق.

ومن العسير إقامة فاصل بين هذه الاتجاهات الثلاث لتداخل بعضها فى بعض، فهى فى الواقع تمثل ثلاث درجات من التفكير السياسى: الكبرى (الإسلامى)، والوسطى (القومى)، والصغرى (الإقليمى). (أبو حاققة، ١٩٧٩م: ١٤٧)

وأخيرا إن قضايا الالتزام فى الأدب الحديث كثيرة كالحرية والعدالة والوحدة العربية، ولكن أهم قضية مثلت مساحة ضخمة من واقع العرب المعيش، هى قضية فلسطين وما يتصل بها من الأرض السليبية والهجرة الأليمة والحق الضائع والدعوة المتفاعلة بالعودة (أبو حاققة، ١٩٧٩م: ٢٩٩) ويبدو أنه حين عجز الفكر السياسى العربى

عن حل النكبة، فقد ألقى بمسؤوليته تلك على الأدب عامة وعلى الشعر خاصة. (عباس، ٢٠٠٠م: ٥٧٦) منذ نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م بدأت يتطور المضمون الفكري للشعر العربي من التمرد الراض المشوب بمشاعر الغربة والحزن الميتافيزيقيين إلى التمرد الإيجابي الثائر، فكل الشعراء ذوى النفوذ الأدبي الذين ينتمون إلى هذه الفترة قد مروا بهذا التطور. (اسماعيل، ١٩٨٨م: ٣٩٦-٤٠٠) فالالتزام في الشعر الحديث تمثل في التمرد والرفض والانحياز إلى القيم الثورية.

النتيجة

يبدو واضحاً لمن يتدبر في أمر الالتزام في الأدب العربي الحديث، أن مفهومه، عند النقاد، متأثر إلى حد كبير من المفهوم الاشتراكي له، وعند الشعراء مأخوذ من وجودية سارتر المتسمة بالقلق والرفض المشوبين بالتمرد الثوري والتأمل في معاناة الإنسان المعاصر ويُستثنى من ذلك الأدباء الإسلاميون حيث التزموا بالدين الإسلامي القيم في أهدافه السامية. هذه الفجوة ناتجة عن الاختلاف في مشرب كل واحد منهم فالنقاد اتجهوا نحو التيارات النقدية الحديثة والوافدة عليهم من الغرب لتبيين مفهوم الالتزام وحصروه في مفهوم نقدي اشتراكي لأنهم يميلون بعض الميل أن يرشدو الشعر نحو وظيفته الاجتماعية تجاه المجتمع ليؤدي رسالته الاجتماعية والسياسية ولكن الأدباء كانوا يبحثون عن حرية التعبير لظروهم الصعبة التي فرضتها عليهم الاستبداد السياسي. وأما الشاعر الإسلامي فيأخذ مبادئه الشعرية من العقيدة الدينية. هذه الفجوة بين النقد والشعر جعلت النقاد يبتعدون عن النص الشعري العربي.

ثم رغم وجود نماذج من التزام الشاعر إلى جانب قبيلته أو عقيدته في الشعر العربي القديم، إن النقد الأدبي القديم لم يكن يُعنى بالالتزام لأن النظرة العامة فيه هي البحث عن المتعة الخالصة وكان مفهوم الأدب عند نقاد العرب القدامى، صناعة تعتمد على الجمال الأدبي، إذن مصطلح الالتزام مصطلح حديث ظهر في الأوساط النقدية والأدبية متأثراً بالروافد الغربية كالاشرائية والوجودية. تجسد الالتزام الأدبي في الأدب الحديث في الاتجاهات الثلاثة يمثل ثلاث درجات من التفكير السياسي:

الكبرى (الإسلامي)، والوسطى (القومي)، والصغرى (الإقليمي) ومن أهم ما التزم به الشعر العربي المعاصر، بعد ظاهرة الرفض، قضية فلسطين المأساوية التي حظيت بقسط وفير من الشعر العربي الحديث.

المصادر والمراجع

- ابن سلام الجمحي. (١٩١٣م). طبقات فحول الشعراء. هولندا: ليدن.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. (لاتا). لسان العرب. لامك: لانا.
- ابوحاقة، احمد. (١٩٧٩م). الالتزام في الشعر العربي. بيروت: لانا.
- اسماعيل، عز الدين. (١٩٨٨م). الشعر العربي المعاصر، قضايا وظواهره الفنية والمعنوية. بيروت: دارالكتب العلمية.
- _____ (١٩٩٢م). الأسس الجمالية في النقد العربي: عرض وتفسير ومقارنة. القاهرة: دار الفكر العربي.
- انصاري، نرگس. (٢٠١٦م). «شعر فاروق جويدة في دراسة أسلوبية (دراسة في شعره الملتزم)». مجلة اللغة العربية وآدابها. المجلد ١٢. العدد ١. صص ٤٧-٢٧
- التوحيدي، أبوحيان. (٢٠١١م). الإمتاع والموانسة. الجزء الثاني. بيروت: المكتبة العصرية.
- التونجي، محمد. (١٩٩٩م). المعجم المفصل في الأدب. بيروت: لانا.
- الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر. (١٩٣٨م). الحيوان. تحقيق وشرح عبدالسلام هارون. بيروت: لانا.
- الجرجاني، عبدالقاهر. (٢٠٠٧م). دلائل الإعجاز. تحقيق: محمد رضوان الداية وفايز الداية. دمشق: لانا.
- الحكيم، توفيق. (لاتا). فن الأدب. القاهرة: دار مصر للطباعة.
- حسين، طه. (١٩٧٩م). خصام وتقد. بيروت: لانا.
- حماد، سهلية بن زين العابدين. (١٤٢٢ق). التيار الإسلامي في شعر عبدالرحمن العشماوي. رياض: مكتبة العبيكان.
- الجبوسى، سلمى خضراء. (٢٠٠٧م). الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث. ترجمه: عبدالواحد لؤلؤة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الخطيب، حسام. (١٩٨١م). الأدب المقارن. الجزء الثاني. دمشق: لانا.
- الدسوقي، عمر. (١٩٧٣م). في الأدب الحديث. ج ١. القاهرة: لانا.
- دوني، بونوا. (٢٠٠٥م). الأدب والالتزام، من باسكال إلى سارتر. ترجمة محمد برادة. القاهرة:

لانا.

سارتر، جان بول. (لاتا). ما الأدب. ترجمة محمد غنيمي هلال. لامك: لانا.
رجبي، فرهاد. (١٣٩٣ش). «تحليل شعر "البحار" و"الدرويش" خليل حاوي بر مبنای فلسفه سارتر». مجله نقد ادب عربي معاصر. دوره ٤. شماره ٧. صص ١٠٦-٧٥
الشايب، أحمد. (١٩٧٦م). تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني. بيروت: لانا.
طبانه، بدوى. (١٩٨٤م). قضايا النقد الأدبي. الرياض: دار المريخ للنشر.
عباس، إحسان. (٢٠٠٠م). محاولات في النقد والدراسات الأدبية. بيروت: لانا.
عزام، محمد. (١٩٩٩م). المنهج الموضوعي في النقد الأدبي. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
العشماوى، محمدزكى. (١٩٩٤م). دراسات في النقد الأدبي المعاصر. بيروت: لانا.
عيد، رجاء. (١٩٨٨م). فلسفة الالتزام في النقد الأدبي. الاسكندرية: منشأة المعارف.
القرطاجنى، ابوالحسن حازم. (١٩٨٦م). منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجه. بيروت: لانا.

قائمی، مرتضى وميرزائی، فرامرز وصدی، مجید. (١٣٩٣ش). «مضامين تعهد ادبی در اشعار فاروق جويده». مجله ادب عربي. سال پنجم. شماره ٢٣. صص ٢٠١-٢٢٢
قطب، سيد. (٢٠٠٣م). النقد الأدبي: أصوله ومناهجه. القاهرة: دار الشروق.
عبد النور، جبور. (١٩٨٤م). المعجم الأدبي. بيروت: دار العلم للملايين.
غنيمي هلال، محمد. (لاتا). قضايا معاصرة في الأدب والنقد. القاهرة: لانا.
_____ (١٩٩٧م). النقد الأدبي الحديث. القاهرة: لانا.

كشاورز، حبيب. (٢٠١٨م). «الالتزام وأثره في العاطفة الشعرية في عصر النهضة» (حافظ إبراهيم وأحمد شوقي نموذجاً). مجلة اللغة العربية وآدابها. المجلد ١٤. العدد ٣. صص ٥١٦-٤٩٥

گودرزی لمراسکی، حسن. (٢٠١٢م). «الوجودية في شعر صلاح عبدالصبور». مجلة اللغة العربية وآدابها. المجلد الثامن. العدد الخامس عشر. صص ١٢٣-١٠٧
_____ ومفتخرزاده، سيدعلى وحيدري، ايوب. (١٣٩٣ش). «الحرية في أشعار يوسف الخال». مجلة إضاءات نقدية في الأدبين العربي والفارسي، السنة الرابعة، العدد الخامس عشر، صص ١١٣-١٣٠

مندور، محمد. (١٩٨٨م). في الميزان الجديد. تونس: موسسات بن عبدالله.
_____ (١٩٩٧م). النقد والنقاد المعاصرون. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
_____ (لاتا). معارك أدبية. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر.

- المنصوري ، جابر. (٢٠٠٠م). النقد الأدبي الحديث. عمان: لانا.
- ميرزائي، فرامرز؛ طاهرينيا، علي باقر. (١٤٢٥ق). «دور السيد جمال الدين الأسد آبادي في النهضة الأدبية المعاصرة». مجلة العلوم الإنسانية. العدد ١١(٢). صص ٦٥ - ٧٣ الورقي، السعيد. (١٩٨٤م). لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقتها الإبداعية. بيروت: لانا.
- هاشم، سهام. (١٩٩٣م). الالتزام عند الكتاب المصريين. القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع. وهبة، مجدى؛ مهندس، كامل. (١٩٨٤م). معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب. بيروت: لانا.
- يقطين، سعيد؛ دراج، فيصل. (٢٠٠٣م). آفاق نقد عربى معاصر. دمشق: لانا.